

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

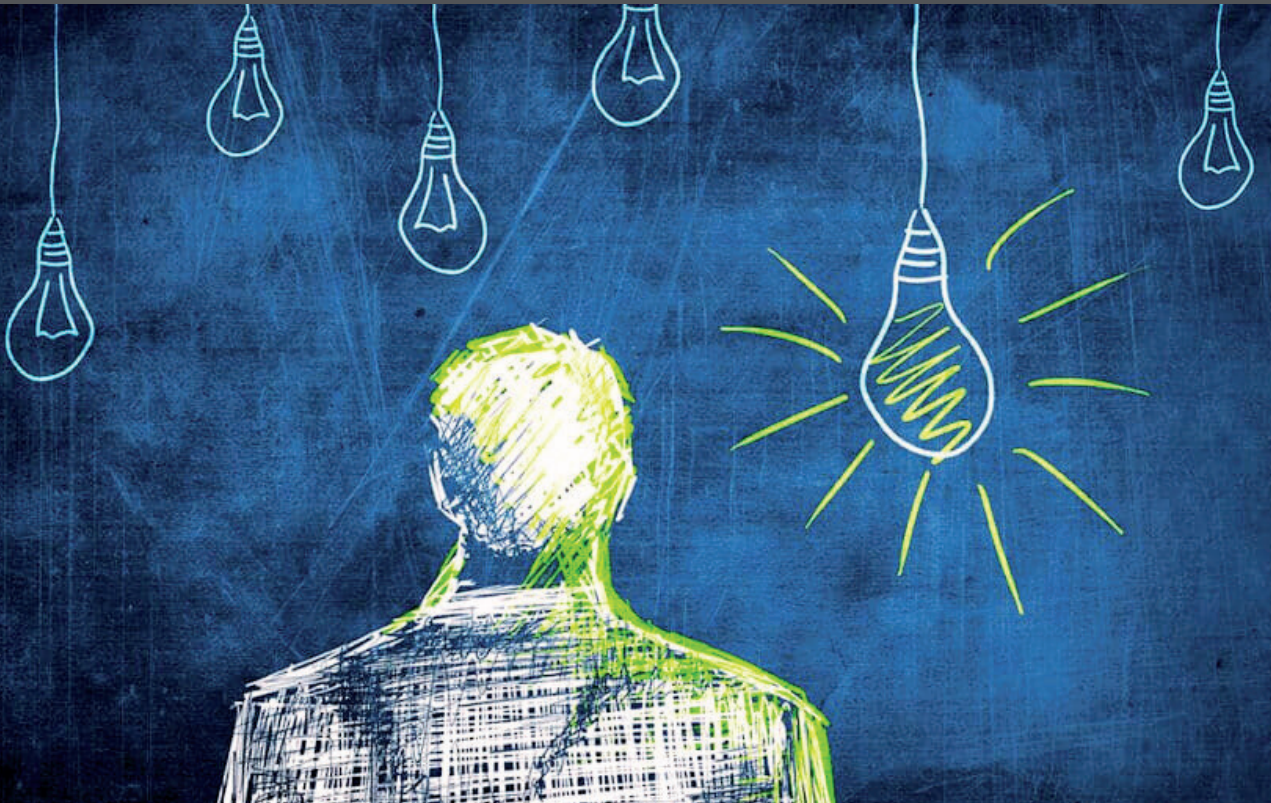
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الحس النقدي كفضيلة عقلية: الدليل بالقدوة

ترجمة:
اشريف مزور

تأليف:
جوليان أوليف

20
24



www.mominoun.com

ترجمة ◆
قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ◆
2024-12-10 ◆

الحس النقدي كفضيلة عقلية: الدليل بالقدوة¹

تأليف: جوليان أوليف

ترجمة: اشريف مزور

1 - L'esprit critique comme vertu intellectuelle: la preuve par l'exemple

Julien OLIVE, مقال منشور بمجلة Diotime, عدد 96, نونبر 2024. على موقع: <https://diotime.lafabriquephilosophique.be>.

النص المترجم:

الهدف من هذا المقال هو أن نبين لمدرسي الفلسفة إلى أي مدى يمكن لنظرية الفضائل المعرفية أن تسلط الضوء على تكوين الحس النقدي. في البداية، سنذكر بالسمات البارزة لمفهوم الفضيلة، إلى جانب أهميته في تناول تدريس الحس النقدي. بعد ذلك، سنقترح تعريفاً لفضيلة الحس النقدي، ثم توضيحها من خلال وصلة بيداغوجية مصغرة تتاح فيها الفرصة للمدرس لوضع هذه الفضيلة العقلية موضع تنفيذ. وأخيراً، سنفحص النتائج الإبيستيمولوجية المنبثقة من هذه الطريقة في تصور الحس النقدي بهدف تمييزها عن المقاربة القائمة على التصور الديونتولوجي للمنهج.

تقع تنمية الحس النقدي في صميم المهام الموكلة إلى النظام التعليمي الفرنسي. ولا تفتقر هذه المهمة إلى العظمة والأهمية، لكن الصعوبات تتضاعف كلما حاولنا تحديد ما هو بالضبط الحس النقدي وما يجب، بشكل ملموس، نقله تحت هذا الاسم إلى التلاميذ. بعض المؤلفين، مثل *J. Baehr* (2011) أو *D. Caroti* (2022)، من أجل توضيح هذه الأسئلة، بدأوا في استكشاف المسار الذي يتمثل في تناول الحس النقدي انطلاقاً من نظرية الفضائل المعرفية التي تطورت، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، في النقاش التحليلي حول المعرفة. يقترح هذا المقال عرضاً موجهاً لمدرسي الفلسفة حول هذا المجال من التأمّلات، بهدف تبيان إلى أي مدى يمكن أن ينير ممارستهم.

في الجزء الأول، سنذكر بالسمات البارزة لمفهوم الفضيلة، إلى جانب أهميته في تناول تدريس الحس النقدي. وسنقترح في الجزء الثاني تعريفاً لفضيلة الحس النقدي، ثم سنوضحه من خلال وصلة بيداغوجية مصغرة تتاح فيها الفرصة للمدرس لوضع هذه الفضيلة العقلية موضع تنفيذ. وأخيراً، سنقوم باستخلاص النتائج الإبيستيمولوجية المنبثقة من هذه الطريقة في تصور الحس النقدي بهدف تمييزها عن المقاربة التقليدية القائمة على التصور الديونتولوجي للمنهج.

1- إيتيقا الفضائل: أخلاق الفاعلين والأفعال

الفضيلة هي أحد أقدم وأشرف المواضيع في الفلسفة الأخلاقية. كان سقراط يقدم منهجه كبحت حول طبيعة الاعتدال، والشجاعة، والتقوى، أو حتى العدالة، بهدف أن نحيا حياة طيبة. وقد أعاد تلميذه أفلاطون، في حواراته الأولى، مثل لاييس *Lachès* أو أطيرون *Euthyphron* بناء هذه الفحوصات التي تهدف إلى إيجاد التعريف الحقيقي لأشكال التميز البشري (*arète*). وخلافاً للرؤية الشائعة التي تجعل من الفضيلة قيماً اجتماعياً مفروضاً على الفرد، فهي قبل كل شيء تعبير عن اهتمام بتحقيق الذات والإنسانية.

غير أن فكرة «إيتيقا الفضائل» تنطوي على تخصيص للبحث الأخلاقي يجد مصدره عند أرسطو. في الواقع، انتقد الأخير أفلاطون وسقراط بسبب تعريفهما العقلي المفرط للفضيلة بوصفها معرفة أو «قاعدة صحيحة».

إن نظرية الفضائل التي عرضها في «الأخلاق إلى نيقوماخوس» تصر، على العكس من ذلك، على حقيقة أن الفضيلة هي قبل كل شيء حال (*disposition*) مكتسبة للفعل والشعور وفقاً لهذه القاعدة الصحيحة. أن تكون فاضلاً لا يعني فقط امتلاك الحكمة العملية، أو الروية (*phronésis*)، التي تسمح للمرء بتحديد الوسط الذهبي بين التجاوزات (إفراط وتفريط) المذمومة، بل يعني أيضاً أن تكون قد استبطنت القدرات على الرغبة في الخير وفعله (25 *Éthique à Nicomaque, VI, 13, 1144 b*). لهذا السبب، فإن الفضائل العملية (*èthikai aretaí*)، مثل الشجاعة أو الكرم، تحتاج، لكي تُكتسب، إلى أن نبدأ بأداء أفعال فاضلة، وأن تصبح هذه الأفعال عادة (*èthos*)، بينما الفضائل العقلية (*dianoètikai aretaí*)، والتي سنحاول تصنيف الحس النقدي ضمنها، هي ثمرة تعليم. وبالتالي، فإن إيتيكا الفضائل ليست نظرية عامة للخير، التي يشير أرسطو إلى حدودها، بل هي تأمل دقيق في الظروف الخاصة للفعل والتحديات الملموسة للشخص الذي يقوم بالفعل.

خصوصية إيتيكا الفضائل هذه، استعادت كل حداثتها مع مقال *E. Anscombe* عام 1958، «الفلسفة الأخلاقية الحديثة»، الذي كان نقطة انطلاق لحركة واسعة من التفكير حول الفضيلة في الفلسفة التحليلية. أشارت أنسكومب إلى نواقص المقاربات التي كانت تهيمن على الفلسفة الأخلاقية في ذلك الوقت، والتي كان همها الأساسي اقتراح نظرية تؤسس للقيمة الأخلاقية للأفعال، سواء في شكل حساب للعواقب، في التقليد النفعي، أو في شكل قواعد كونية في الفكر الكانطي. وبشكل أكثر عمومية، فقد كشفت عن عدم كفاية الفلسفة الأخلاقية التي تُفهم أساساً كميثا-إيتيكا؛ أي كتحليل لدلالة الألفاظ ومنطق الأحكام الأخلاقية. هذا لا يعني أن هذه المدارس التقليدية المختلفة لم تكن تهتم بمسألة الفضيلة، لكنها أخضعتها لبحث في مجمله نظري يسعى إلى تحديد ما يمكن أن يُقال إنه خير. على العكس، تركز إيتيكا الفضائل على الجوانب المتعددة والمعقدة والمتناقضة للسعادة الإنسانية المتجسدة في مواقف حقيقية (2001 *Nicholas Dent*). كما هو الحال عند أرسطو، فإن التفكير فيما يتعلق بالفضائل يعني التأكيد على أهمية الأحوال (من الحال أو الهيئة) والمشاعر العملية التي تجعلنا نقيم بشكل إيجابي طريقة تصرف شخص معين. إنها مذهب للفعل أكثر من كونها نظرية للخير، وهذا هو ما يجعلها ذات فائدة بيداغوجية.

إن تناول الحس النقدي بوصفه فضيلة عقلية له ثلاثة أنواع من المزايا؛ أولاً، بقدر ما تكون الفضائل دائماً مدمجة في الأفعال التي تحققها، فإنها تكون أقل عرضة للاعتراضات التي تثيرها الخطابات الميتا-إيتيكية. عند مواجهة حالة من الظلم، يتفاعل التلاميذ بحماس، في حين أنه عندما يتم الشروع في تطوير نظرية عقلانية للعدالة، فإنهم يتبنون موقفاً نسبياً. وهكذا، من الأفضل للأستاذ تبيان الحس النقدي من خلال حل الصعوبات الملموسة، بدلاً من الانغماس في عرض حول ما هي طريقة التفكير الصحيحة التي تخاطر بحبسه في نقاش ضد المشككين. ثانياً، هذه العناية بالحالات الواقعية ليست بالضرورة علامة على ضعف معرفي، على العكس، فإن بيداغوجيا الفضائل قد تدمج عناصر مهمة من المعرفة، مثل دور الشخصية ومشاعر الباحث، بينما تُستبعد هذه النقاط عادةً من المقاربة التي تركز على المنهج والإجراءات (2008 *Pouivet*)؛ أي مدرس لديه بعض

السنوات من الخبرة قد شعر أن تلاميذه السابقين يحتفظون بذكرى من كان هو، ونوع الشخصية الفكرية التي كان يجسدها، أكثر بكثير مما يمكن أن يكون قد علمهم إياه. أخيراً وثالثاً، تتيح إبتيقا الفضائل معالجة إحدى المهام الأساسية الموكلة إلى تدريس الحس النقدي، وهي تكوين المواطنين. لذلك، لا يمكن التفكير فقط من منظور المعرفة والكفايات والمهارات، بل يجب أن نكون قادرين على الإجابة عن السؤال «ما نوع الأشخاص الذين نرغب في تكوينهم؟» (Charbonnier, 2015).

2- الحس النقدي كفضيلة عقلية

لتوصيف الحس النقدي كما يفهم من قبل وزارة التربية الوطنية الفرنسية، سنأخذ كمرجع الوثيقة المتاحة من قبل الوزارة على موقع *Éduscol*، «تكوين الحس النقدي لدى التلاميذ»¹. ووفقاً لها، فإن الحس النقدي هو «حالة ذهنية (*état d'esprit*)»، ومطلب «ينشأ ويتعزز من خلال الممارسات». وتستند هذه الحالة الذهنية إلى صفات مثل الفضول والاستقلالية والوضوح والتواضع والإصغاء. والممارسات التي تتوافق معها هي: الحصول على المعلومات، تقييم المعلومات، التمييز بين الحقائق والتأويلات، مقابلة التأويلات، تقييم التأويلات (Éduscol 2023). يبدو أن مفهوم الفضيلة العقلية مصمم خصيصاً لهذا الوصف. نجد، من جهة، فكرة الحال (*disposition*) المكتسبة الذي تكون نقطة انطلاقها ونقطة وصولها في الممارسة. من ناحية أخرى، يتم التأكيد بوضوح على بُعد معياري وغائي (*téléologique*) من خلال الخصائص التي يتم البحث عنها، سواء لذاتها أو لعواقبها الإيجابية، تماماً كما هي الفضيلة. (Dent, 2001).

سنعرّف الحس النقدي بأنه مجموع الأحوال العقلية المكتسبة التي تجعلنا نسعى، عندما نواجه مشكلة تثير النقاش، إلى الحصول على أفضل موقف مدعوم عقلياً. يضع هذا التعريف الحس النقدي في فئة الفضائل المعرفية، وهو مجال دراسي تطور بشكل كبير على مدى الأربعين سنة الماضية، والذي يحدد الصفات المعرفية التي تساهم في اكتشاف الحقيقة، مثل التواضع أو الشجاعة الفكرية². ويميز منظرو الفضائل المعرفية داخل هذه، من ناحية، بين الفضائل - الملكات التي تؤهل للاستخدام الجيد لأدواتنا المعرفية، مثل الإدراك الجيد أو الذاكرة الجيدة، ومن ناحية أخرى، الفضائل - السمات التي تشير إلى الأحوال الخلقية المكتسبة (*dispositions acquises du caractère*)، والتي تعد جيدة من الناحية الأخلاقية، مثل النزاهة الفكرية (Turri et al., 2021). يندرج الحس النقدي ضمن هذه الفئة الثانية لأنه على الرغم من أنه يحشد العديد من الكفايات، مثل العثور على المعلومات الصحيحة وتقييمها، إلا أنه لا يقتصر على إتقان المهارات المعرفية. ويفترض أن استخدام هذه المهارات يتم تنسيقه من خلال موقف ودافع وتعلق عاطفي باكتشاف الحقيقة التي يُنظر إليها على أنها خير. (Zagzebski, 1996 in Dutant et Engel, 2005, p. 396) يشعر الشخص الفاضل عقلياً بالرضا عند ممارسة الحكم (*jugement*) بشكل سليم، وبالاستياء من الاستنتاجات المتسارعة والجزئية والمسيئة (Dent, 2001).

ومع ذلك، فإن هذه المقاربة المعيارية للحس النقدي لا تحظى بالإجماع. قام *Peter Facione* في الولايات المتحدة الأمريكية، في أواخر الثمانينيات، بإجراء استشارة ضمن لجنة من الخبراء بهدف تعريف الحس النقدي³. وفقاً لأقلية من الأشخاص المستجوبين، ثلثهم، فإن الحس النقدي يُعرّف فقط من خلال الكفايات المعرفية، مثل تأويل المعطيات أو المهارات الاستدلالية، وليس من خلال الميول/الاستعدادات العملية، مثل الفضول أو الانفتاح الفكري. هذا الاختلاف في الرأي دفع *Facione* إلى فصل الحس النقدي عن التقييم الإيتيقي لاستخدامه، وعلى خطاه، يقترح *Caroti* التمييز بين «الحس النقدي»، المحايد من الناحية الأكسيولوجية، و«المفكر النقدي الجيد»، الذي يضع الأحوال الفاضلة موضع تنفيذ (Caroti, 2022, p. 59). هذا الحل، مهما كان مشروعاً، فهو ليس حتمياً، وقد نفقد عنصراً أساسياً من عناصر الحس النقدي بقطعه عن بعده المعياري. يمكن لتجربة فكرية أن تجعلنا نشعر بهذا: لنفترض، على سبيل المثال، أنني متزلج على الجليد وأحلم بتحديد مسار على منحدر. إنه في حالة جيدة جداً ولكنه يمثل خطراً قوياً للانهيال الجليدي، مما يجعل هذا الاختيار محفوفاً بالمخاطر. أستخدم كفاياتي التحليلية لإقناع أصدقائي بالذهاب لتجربة هذه المغامرة ورفض حججهم؛ فلعلم الثلوج سحره حيث من الممكن دائماً العثور، في حالة معينة، على إشارات إيجابية وأخرى سلبية. نحن ذاهبون للتزلج على المنحدر، وحدث انهيار جليدي، وتم إنقاذي أنا وأحد رفاقي، بينما مات الآخرون. هل سيعتبر الناجي أو أقارب الضحايا أو حتى العدالة أنني أظهرت تمييزاً، وأني قمت بتفكير نقدي كامل؟ لا، حدسنا هنا هو أن ممارسة الفكر النقدي لا يمكن فصلها عن التقييم التبصري لمعتقداتنا ودوافعنا وعواقب اختيارنا. صحيح أن المداولة، في مثالنا، لها بُعد معياري بسبب عواقبها العملية السلبية الواضحة، لذا يمكننا الاعتراض بالقول إنه لا يوجد شيء من هذا القبيل في ممارسة الحس النقدي الذي سيكون، بطريقة ما، نشاطاً معرفياً «على الأريكة»، أو بالأحرى «على مقعد الدراسة» فقط. ومع ذلك، فإن هذا الاعتراض لا يصمد طالما أننا نقبل مبدأ براغماتياً بسيطاً، والذي ينص على أن امتلاك ونقل المعتقدات الصحيحة أو المعقولة له دائماً، عن كذب أو عن بعد، عواقب عملية.

وبالتالي، فإن تعريف الحس النقدي كفضيلة يتطلب تمييزه عن الكفاية التقنية، أو إتقان المعرفة العلمية التي يمكن أن تكون من قبل الكثيرين محايدة من الناحية الأكسيولوجية. يمكن للخبير أن يتصرف بطريقة مهمة، بل وحتى بنية سيئة، ويمكنه أن يستخدم معرفته لخدمة دعاية لوبي معين، وهذا يشكك في نزاهته ولكنه لا يشكك في خبرته. على العكس، الشخص الذي يستخدم قدراته التحليلية والاستدلالية لتضليل أقرانه، وإيقاعهم في الخطأ، لا يمكن اعتباره فرداً يتمتع بالحس النقدي. بهذه الطريقة، يدخل الحس النقدي في مجموعة فرعية من الفضائل العقلية الاجتماعية. إنه ليس موجهاً فقط نحو الإنجاز المعرفي الفردي، كما هو الحال بالنسبة للمثابرة، بل يتطلب أيضاً استعدادات للاستماع والتواصل موجهة نحو فكر الغير. (Turri et al., 2021) فضيلة الحس النقدي تؤهل الشخص القادر على التعاون للمشاركة في العمل الجماعي لمجتمع يعتبر فيه إنتاج ونقل المعارف الموثوقة خيراً.

إن اقتراحنا بتعريف الحس النقدي باعتباره فضيلة عقلية قد يثير صعوبة أخرى. هل هي حقا فضيلة فردية أم مجموعة من الفضائل العقلية، مثل التواضع والانفتاح وعدم التحيز؟ هذا السؤال لا يقتصر على الحس النقدي؛ فقد لاحظ منظرو الفضائل العقلية في كثير من الأحيان وحدة هذه الفضائل أو طابعها «الفرداني بشكل صارخ» (Zagzebski, 1996, p. 399). لا يمكن أن يوجد الحس النقدي دون الميول المعرفية الفاضلة الأخرى؛ ومع ذلك، فهو يتميز بنوع الأسئلة التي ينطبق عليها، أي النقاط التي يمكن بصدها النقاش؛ لأنها لا تخضع لدليل صوري. كما يتميز بموقف الفاعل فيما يتعلق بالموضوع الذي يتناوله؛ فهو يظل «رجلاً نزيهاً» حريصاً على تكوين رأي عقلاني. سيظهر الباحث المتخصص في هذا المجال حساً نقدياً عندما يواجه منشوراً مفاجئاً، فسوف يتساءل عن مؤلفه ومصادره، ولكن نهاية مقارنته ستكون الوصول إلى دليل بالشكل المناسب مما يسمح بتقدم المعرفة. يمكننا، مع ما يلزم من تعديل، أن نجعل الحس النقدي أقرب إلى ما أسماه أرسطو *súnesis* و *eusunesía*؛ أي الفهم والبصيرة (Éthique à Nicomaque, VI,11).

3- الدليل بالقدوة: كيف نرد على اعتراض مشكك؟

إن تعريف الحس النقدي بوصفه فضيلة عقلية يفترض أنه لا يمكن تدريسه كمعرفة: بل يجب أن ينقل من خلال مثال (قدوة) الأستاذ الذي يضع موضع تنفيذ الاستعدادات والملكات والعواطف التي تشكله. ومن هذا المنطلق، قد يكون من المناسب تفضيل حدوث مواقف بيداغوجية يمكن من خلالها تطبيق ذلك قدر الإمكان. لقد اخترنا هنا الاعتماد على تفاعل لا يفشل أبداً في الحدوث خلال سنة من تدريس الفلسفة، وهو التعبير عن اعتراض تشكيكي من النوع: «لكن ما الذي يخبرنا أن الأرض كروية؟»، «لكن ما الذي يثبت أن يسوع قد وُجد؟»، «لكن هل يمكن أن نكون متأكدين أن الإنسان قد ذهب إلى القمر؟» الأمر المثير للاهتمام في مواجهة النزعة الشككية، بالنسبة لمن يريد أن يفكر في ماهية الحس النقدي، هو أن هذين الموقفين غالباً ما يتم التقريب بينهما، أو حتى الخلط بينهما، ومن الصعب التمييز بينهما تماماً، رغم أنه من الواضح أنهما مختلفان اختلافاً عميقاً من حيث العواقب.

سنطور، كمثال لنا، حالة الوجود التاريخي ليسوع؛ لأنه يتمتع بميزة تقديم صعوبة معرفية حقيقية. لا يوجد، في الواقع، أي دليل أركيولوجي أو كتابي على وجود الفرد الذي أسس الطائفة اليهودية للمسيحيين (نتحدث هنا حصرياً عن «يسوع التاريخي» وليس عن البنى اللاهوتية التي وضعت لاحقاً). لذلك، يبدو أن الموقف النقدي والعقلاني في هذا المجال هو رفضها بوصفها مشكوكاً فيها. ومع ذلك، فمنذ ثلاثينيات القرن العشرين، تم رفض هذا الموقف المسمى بـ«الأسطوري» من قبل الدوائر الأكاديمية المتخصصة، ويتم تداوله الآن فقط في دوائر موازية على الإنترنت، أو من قبل مؤلفين غير متخصصين مثل Michel Onfray. كيف يمكننا إذن في هذه الحالة التمييز بين الفضيلة النقدية والرذيلة المفترطة في النقد؟ رد الفعل الطبيعي للأستاذ الذي يفاجأ بالسؤال هو أن ينحاز إلى جانب «العلم» ويشوه الحجة الشككية بتصنيفها على أنها «نظرية مؤامرة».

إن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يكون إلا عائقاً؛ لأنه لا يجيب على الأسئلة المشروعة التي قد يطرحها التلاميذ على أنفسهم، ويحول العلم (*savoir*) إلى مجموعة من المعارف (*connaissances*) خارجة عن نطاق تحقيق حياتهم الفكرية، والتي لا تعلمهم تبني معتقدات مبررة في مرحلة لاحقة.

يجب أن تسير بيداغوجيا الفضائل بشكل مختلف تمامًا. يبدأ الأستاذ بتعبئة أولى الفضائل المعرفية وهي التواضع أو الانفتاح الذهني؛ إذ يجب عليه أن يتعامل مع الحجج المختلفة الموجودة بتجرد وأن يكون مستمعاً لحجج خصمه. يمكنه حتى توضيحها من خلال إجراء بحث على ويكيبيديا: الوثائق الرئيسية المتعلقة بحياة يسوع هي الأناجيل التي كُتبت في مجتمعات مسيحية مختلفة، ما بين 65 م و110م، على الأرجح استناداً إلى مصادر سابقة تشرح أوجه التشابه بينها. إن الإجماع الأكاديمي الحالي حول هذه النصوص هو أنها ليست تقارير موضوعية قدمها شهود مباشرين، بل هي روايات تهدف إلى التعبير عن إيمان المؤمنين الذين سبق لهم أن عاشوا بعد جيل أو جيلين من الأحداث التي تم سردها، وهو ما قد يفسر العديد من التناقضات فيها (*Wikipédia, « Jésus de Nazareth »*). ويجب أن تكون هذه اللحظة فرصة لتحفيز فضول التلاميذ، وهو شعور معرفي يعد محركاً للحس النقدي. لذلك، في البداية، يجب منح نقطة للمشكك: يمكن للمرء أن يشكك في وجود يسوع. ومع ذلك، عند الوصول إلى هذه المرحلة، يجب على الأستاذ أن يشير إلى أنه سيكون من غير المتسق أن نستنتج أنه يجب الشك في وجود يسوع، أو حتى أن نعتبره غير صحيح. الحياء يتطلب أيضاً إجراء تقييم نقدي للنقيض، «يسوع لم يوجد».

يتجلى الحس النقدي، بوصفه سمة شخصية، من خلال الذوق ومن خلال ما أسماه *John Dewey* بالتحقيق، ومواجهة الفرضيات والبحث عن الوقائع التي يمكن أن تضعها على المحك. بدلاً من التسرع في الوصول إلى الاستنتاج المشكك أو الموقف الأسطوري، يجب أخذ الوقت لتقييم احتمالية كل منهما. عندها تأخذ الأمور منحى جديداً تماماً. في الواقع، إذا لم يكن هناك دليل معاصر مباشر على وجود يسوع، فيجب الإشارة إلى أن هذا هو الحال بالنسبة لعدد كبير من الشخصيات في العصور القديمة، بدءاً من غالبية الفلاسفة الذين لا تُعرف حياتهم إلا من خلال مصادر لاحقة. وهكذا، إذا كان المشكك متسقاً، فيجب عليه أيضاً أن يشكك في وجودهم.

علاوة على ذلك، توجد أيضاً أدلة غير مباشرة تجعل الموقف النقدي المفرط غير قابل للتصديق. الأولى منها هي شهادة *Flavius Josèphe*، المؤرخ اليهودي المولود في عام 37 أو 38م، الذي يذكر في كتابه «الآثار اليهودية» (93-95م) عدة مرات وجود طائفة تدعي اتباع يسوع والتوترات التي كانت قائمة بينها وبين التيارات الأخرى في اليهودية. في هذا السياق، لا نفهم كيف كان بإمكان المسيحيين الأوائل أن يخترعوا من العدم شخصية مسيحيهم، بينما كانوا مواطنين بأعداء كان بإمكانهم بسهولة الاعتراض عليهم بأن لا أحد يتذكره. يضاف إلى ذلك، أخيراً، أن الموت بالصلب السيئ الصيت، وهي نقطة مشتركة بين جميع الأناجيل، حتى لو حقق لاحقاً النجاح اللاهوتي الذي نعرفه، ليس ذاك النوع من التفاصيل التي يتم اختراعها عندما يسعى المرء إلى إعطاء أصل إلهي للإيمان الذي يعتنقه. مع التذكير بهذا، لا يمكن للموقف المتشكك ولا الأطروحة الأسطورية أن يبدوا متوافقين مع

الأحوال/الاستعدادات العقلية التي تفضي إلى اكتشاف الحقيقة؛ فالأول يخطئ في الإفراط في الورع، فلا يميز بين ما يمكن الشك فيه وما يجب الشك فيه، والثانية تظهر التحيز والتسرع بتحويل الشك إلى يقين.

4- من الفضيلة إلى الإبستمولوجيا: الشكبة والشك المعقول

بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة، يمكننا أن نتفق على أن تعريفنا يصف بشكل مناسب ما نعينه بـ «الحس النقدي» في النظام التعليمي الفرنسي، ومع ذلك، سيظل القارئ له الحق في التساؤل عن المكسب الفكري لهذه النظرية، وما يمكن أن تعلمنا إياه وما لا تعلمنا إياه المفاهيم المنافسة. وبعبارة أدق، ولأننا في مجال الإبستمولوجيا حيث اكتشاف الحقيقة هو المعيار النهائي لتقييم اعتباراتنا، فإننا بحاجة إلى بيان كيف أن الأحوال العقلية التي قمنا بتوضيحها هي ذات صلة من الناحية الإبستمولوجية، وعلى هذا النحو، من المرجح أن تؤدي إلى تبني أحكام صحيحة أكثر من الخصائص التي تطرحها المقاربات المنافسة. ولوضع الأمر في سياق النقاش حول إبستمولوجيا الفضائل، فإن الفضيلة الخلقية (*vertu du caractère*) التي تحدد، وفقاً لنا، الحس النقدي، يجب أن يكون موثوقاً بها أيضاً في إرساء الحقيقة (Zagzebski, 1996, p. 397).

كما يشير المثال الذي طورناه أعلاه، فإن المجال الذي من المرجح أن تحدث فيه المقاربة الفضائية فرقاً كبيراً هو مجال الردود على الشكبة (*scepticisme*). نظرية إبستمولوجيا الفضائل ذات صلة مباشرة بمعالجة هذا الموضوع؛ لأنها تتعلق بسؤال معياري: متى يجب أن نشك ومتى يجب أن نؤمن؟ والموقف البديل الأكثر انتشاراً، عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع هذا العنصر من إيتيقا الاعتقاد، هو الموقف الديونتولوجي، الذي يقترح، كما في الفلسفة الأخلاقية، التفكير من حيث القواعد والواجبات. ووفقاً لهذه الأخيرة، يجب أن نصدق فقط ما تم إثباته بشكل مشروع، أما الباقي فيجب اعتباره مشكوكاً فيه، أو بعبارة *William Clifford* الشهيرة: «من الخطأ، دائماً، وفي كل مكان، وبالنسبة لأي شخص، أن نصدق أي شيء على أساس أدلة غير كافية» (*Clifford, 1999, p. 77*). هناك تنوع كبير في المبررات التي يمكن أن تُعطى لهذا المبدأ (النزعة العواقبية أو النزعة الكونية)، وكذلك في المفاهيم المتعلقة بما هو الدليل الصحيح (النزعة التأسيسية *fondationnalisme*، النزعة التماسكية *cohérentisme*، النزعة الخارجية *externalisme*). ومع ذلك، فإن جميع المذاهب التي تعترف بهذا المبدأ الديونتولوجي للاعتقاد تشترك في ما يمكن تسميته «القابلية للشكبة»؛ أي إنها يجب أن ترد على الحجج المشككة لتتمكن من الحصول على أسباب كافية للاعتقاد. ومع ذلك، فإن المهمة بعيدة عن أن تكون سهلة: من ناحية، نفتقر إلى أدلة مؤكدة لعدد كبير من معتقداتنا، مثل وجود عالم خارجي أو أننا لسنا ضحايا لشيطان ماكر (حجة شكية من النوع الديكارتي)؛ ومن ناحية أخرى، فإن فكرة الدليل الصحيح تثير اعتراضات تتعلق بالتراجع إلى ما لا نهاية، أو بدائية الدليل، وكذلك بموثوقية الأسس وأدوات المعرفة (حجج شكوكية من النوع البيروني *pyrrhoniens*). وقد تم تحديد النظريات الإبستمولوجية المعاصرة إلى حد كبير بنوع الرد الذي حاولت تقديمه على هذه الاعتراضات.

أما المقاربة الفضائية، فهي ترى من جهتها أن هذه النقاشات وصلت إلى طريق مسدود، وتقرح اتخاذ خطوة جانبية (Sosa, 1991, p. 143-178). ووفقاً لها، فإن مشروعية الاعتقاد لا تأتي فقط من القواعد المستخدمة لإثباته، بل تنشأ أيضاً من العملية العقلية الفاضلة التي تضمنه. تفترض إبستمولوجيا الفضائل أن قدراتنا العقلية يمكن اعتبارها موثوقاً بها، طالما لم يظهر أي سبب للشك فيها. لذا، فهي لا تمنح الشك مشروعية مسبقة؛ بدلاً من الاضطرار إلى دحض المشككين بأي ثمن، تكتفي بـ «إعادتهم إلى مكانهم» (إذا أعدنا استخدام عنوان كتاب Greco، في عام 2000). إذا كان من المشروع اللجوء إلى حجج تستند إلى إمكانية الشك، مثل حجة الشيطان الماكر، في إطار تحليل مفهوم المعرفة، حيث تكون الحجج الموجهة (modaux) ذات صلة بالموضوع، فإن هذه الإمكانية لا تعطي أي سبب للاعتقاد بوجود مثل هذه الثغرات في جهازنا المعرفي، وبالأحرى، في أي معرفة معينة. وبالمثل، يمكننا اعتبار حجة الطيف المعكوس صحيحة من الناحية المنطقية، دون أن نتخيل لحظة واحدة أننا لا نرى الألوان بنفس الطريقة التي يراها بها أقراننا، أو أننا نخطئ في تحديد كائن ملون معين. في مجال البحث عن محتويات المعرفة، لم يعد للشك مكانها، بل يجب تفضيل مفهوم الشك المعقول، أي الشك المدعوم الذي لا يشكك في إمكانية التمييز بين الصحيح والخاطئ، بل على العكس، لا يكون له معنى إلا في إطار عملية تحقيق (enquête) هدفها هو إقامة الحقيقة. الفضائل العقلية، الملكات والأحوال، يجب أن تدفعنا إلى أفضل تفسير، والذي غالباً ما يكون مجرد احتمال، وسيُعتبر صحيحاً حتى يأتي عنصر من الأدلة ليعيد النظر فيه، وهو ما يتماشى مع طابع قابلية المعرفة للمراجعة الذي يحظى بإجماع واسع بين الإبستمولوجيين المعاصرين.

إن معرفة ما إذا كانت نظرية الفضائل إجابة ذات صلة بالنقاشات الأساسية في الإبستمولوجيا تتجاوز بكثير نطاق موضوعنا، فهذا ليس ضرورياً بالنسبة إلينا: حتى لو فشلت في تقديم تفسير مرضٍ تماماً لمشكلة المعرفة، فإن مفهوم الفضيلة المعرفي سيظل متاحاً للديداكتيك وسيحتفظ بميزات جديرة بالاعتبار. في الواقع، فإن القابلية للشك في المقاربات الديونتولوجية يثير مخاوف بيداغوجية حقيقية. فقبل كل شيء، لأنها تُدخل خطر الخلط بين الشك والحس النقدي: إذا كان واجب المفكر النقدي هو الشك، ألا ينبغي أن يكون هذا المفكر شكاكاً؟ بالطبع، معظم الفلاسفة الذين تناولوا هذا السؤال قد ميزوا بوضوح بين الشكوك النقدية والشكوك المفرطة في النقد، أو بين الشك المعتدل والشك البيروني (pyrrhonisme). ولكن لتحقيق ذلك، يجب عليهم إدخال ترتيبات ومواقف تشبه إلى حد كبير الفضائل، أو وضع قواعد إضافية للقضاء على أشكال الشك المبالغ فيها. علاوة على ذلك، فإن هذه الحواجز تتبين أنها هشّة في مواجهة أشكال الشك المعاصرة التي يواجهها تلاميذنا. في الواقع، يتميز عصرنا بتكاثر، لا مثيل له في تاريخ البشرية، للمعلومات، ووسائل الوصول إليها، والجهات القادرة على نشرها. في هذا السياق، يصبح من المعقد للغاية، حتى بالنسبة للخبراء، إجراء فحص ديونتولوجي مناسب لكل ما يُفترض أننا نعرفه، مما يتيح العديد من استراتيجيات الشك التي تهدف إلى تحييد المعارف الراسخة، مثل ضرر منتوج معين، من خلال مواجهتها بأبحاث تحويلية (تحويل مسار البحث)، أو حتى «بحقائق بديلة» (Girel, 2017). الحل الوحيد الذي يجب اعتماده، وفقاً للموقف الديونتولوجي، هو

إجراء تقييم كامل للأدلة، لكن هذا الأمر يستغرق وقتاً طويلاً، ويكلف الكثير، ويجب إعادة القيام به باستمرار، وهو متاح فقط للمتخصصين؛ وفي هذه الأثناء، سيكون الشخص النزيه محكوماً عليه بالشك.

على العكس، فإن فضيلة الحس النقدي من المرجح أكثر أن تجعلنا نكتسب معارف حقيقية، لأنها تعارض استراتيجيات الشك بتوجه عاطفي مكتسب وهو الاهتمام بالحقيقة (Pouivet, 2020, p. 29). الخبير غير النزيه الذي يساهم عن قصد في تأخير إرساء الإجماع العلمي، المتواصل الذي يلجأ إلى «حقائق بديلة»، مستخدم الإنترنت المتمرد الذي يكسح الحجج لصالح نظرية الأرض المسطحة، يشتركون جميعاً في عدم وجود عجز في العقلانية أو إتقان المعايير المعرفية، بل في عدم الاهتمام بالحقيقة (Girel, 2017). إن عدم مراعاة الحقيقة هو أحد العوامل الرئيسة التي تفسر انتشار المعلومات الخاطئة (Meyer, Alfano et de Bruin, 2021). لهذا السبب، فإن تكوين التلاميذ الماهرين عقلياً مع عدم الاكتراث بالحقيقة لا يكفي لجعلهم مفكرين نقديين فعالين. والأكثر من ذلك، ينبغي أن نجعلهم يتذوقون طعم الاستقصاء والفضول والإنجاز الفكري، وعلى العكس من هذا، يجب أن نجعلهم يشعرون بالطابع الفاسد للتفاهة وانعدام النزاهة الفكرية التي تدفعهم إلى الانغماس في الشك أو تبني مواقف خيالية. كل هذه الأمور لا يمكن تلخيصها في كفايات إدارة الدليل، ولا يمكن تعليمها من خلال دروس في الفضائل، بل هي ما ينقله الأستاذ بالقدوة (من خلال مثاله).

كان هدفنا هو اقتراح أهمية نظرية الفضائل العقلية على مدرسي الفلسفة في عملهم المرتبط بتكوين الحس النقدي. لقد أظهرنا أنه يمكننا، بهذه الطريقة، تلبية التوقعات التي تربط المؤسسة ومعظم الأساتذة بهذا التعليم بشكل كاف. علاوة على ذلك، يبدو أن تكوين التلاميذ على الفضيلة النقدية يمكن أن يمنحهم فرصاً أفضل لتبني معتقدات صحيحة لاحقاً، ولتقدم المعرفة، في حين أن المقاربة القائمة فقط على الإجراءات المعرفية قد تكون أقل فعالية في مواجهة استراتيجيات الشك. ومن ناحية أخرى، فإن الفيلسوف الذي لديه بالفعل دراية بالموضوع سيكون لديه بلا شك عدد كبير من الاعتراضات في ذهنه، فهو يعلم أن إبستمولوجيا الفضائل قد تعرضت للعديد من الهجمات ومن المشروع التساؤل عما إذا كانت هذه الهجمات لا تعرض تعريفنا للحس النقدي للخطر. إن هذا الملف شامل (كثيف)، ويتطلب فحصاً مفصلاً لا يمكن أن يجد مكانه إلا في مقال أكثر تقنية من هذا. ومع ذلك، قد يكون لهذا العمل أيضاً بعض الفائدة للممارسين في مجال التدريس؛ لأنه إذا كان يمكن أن يكشف أن مفهوم الفضيلة ليس، في النهاية، مرشحاً جيداً لتعريف الحس النقدي، فمن الممكن أيضاً أن تكشف هذه الدراسة أن الحس النقدي هو جزء من الفضائل المعرفية، وبالتالي، قد تكشف الاعتراضات ضد هذه الفضائل عن ثغرات وحدود في مشروع تكوين مواطنين ممتازين.

لائحة المراجع:

- Anscombe, E. (1958). « La philosophie morale moderne », trad. fr. G. Ginvert et P. Ducray, *Klēsis* –Revue philosophique n°9, 2008.
- Aristote, (1997). *Éthique à Nicomaque*, trad. fr. J. Tricot, neuvième tirage, Paris, Vrin.
- Baehr, J. (2011). *The Inquiring Mind: On the Intellectual Virtues & Virtue Epistemology*, Oxford, Oxford University Press.
- Clifford, W. (1999). *The Ethics of Belief and other Essays*, New-York, Prometheus Books.
- Dent, N. (2001). « Vertu » in Monique Canto-Sperber (dir.), *Dictionnaire d'éthique et de philosophie morale*, Paris, PUF.
- Charbonnier, S. (2015) « Les « vertus épistémiques »: un champ de problèmes crucial pour les sciences de l'éducation », *Le Télémaque*, vol. 48, no. 2, 2015, p. 105-116.
- Caroti, D. (2022), *L'effet des formations à l'esprit critique sur les croyances et les dispositions épistémiques des enseignants*, thèse de doctorat Aix-Marseille Université.
- Dutant, J. et Engel, P. (éds.). (2005). *Philosophie de la connaissance. Croyance, connaissance, justification*, Paris, Vrin.
- Éduscol, *Former l'esprit critique des élèves* (mise à jour mai 2023), <https://eduscol.education.fr/1538/former-l-esprit-critique-des-eleves>
- Facione, P. (1990), *Critical thinking: A statement of expert consensus for purposes of educational assessment and instruction*, Newark, American Philosophical Association. <https://philpapers.org/archive/FACCTA.pdf>
- Girel, M. (2017) « Ignorance stratégique et post-vérité », *Raison présente*, 2017 | 4, p. 83-96.
- Greco, J. (2000). *Putting skeptics in their place*, Cambridge, Cambridge University Press.
- Meyer, M. Alfano, M. et de Bruin, B. (2021), « The Development and Validation of the Epistemic Vice Scale », *Review of philosophy and psychology*, 25 juin 2021.
- Pouivet, R. (2001). « Vertus épistémiques, émotions cognitives et éducation », *Éducation et didactique*, 2-3 | 2008, p. 123-139.
- Pouivet, R. (2020) *L'Éthique intellectuelle. Une épistémologie des vertus*, Paris, Vrin,.
- Sosa, E. (1991). *Knowledge in perspective*, Cambridge, Cambridge University Press, trad. fr. in Dutant et Engel (2005).

- Sosa, E. (2007). *A Virtue Epistemology*, Oxford, Clarendon Press.
- Tiercelin, C. (2016) *Les vertus épistémiques, cours et séminaire au Collège de France de l'année 2015-2016*, <https://www.college-de-france.fr/fr/agenda/cours/les-vertus-epistemiques>
- Turri, J. Alfano, M. et Greco, J. (2021). "Virtue Epistemology", *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Winter 2021 Edition), Edward N. Zalta (ed.), <https://plato.stanford.edu/archives/win2021/entries/epistemology-virtue/>
- Zagzebski, L. (1996). *Virtues of the Mind*, Cambridge, Cambridge University Press.

ملاحظات:

1- Éduscol, Former « l'esprit critique des élèves » (mise à jour mai 2023), <https://eduscol.education.fr/1538/former-l-esprit-critique-des-eleves>

2- الأدب حول إبستيمولوجيا الفضائل هائل، ويندرج ضمن النقاش الأوسع حول نظرية المعرفة المعاصرة. للحصول على عرض شامل باللغة الإنجليزية، انظر Turri، Alfano و Greco (2021)، يمكن للقارئ الناطق بالفرنسية الذي يرغب في استكشاف هذه الأسئلة أن يبدأ ب Dutant و Engel (2005) ثم يتعمق مع Pouivet (2020) و Tiercelin (2016).

3- فاسيوني Facione 1990؛ في الأدب الفرنسي، تم تحليل هذه الوثيقة واستثمارها من قبل كاروتي Caroti 2020 ص. 39-44

 Mominoun

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun_sm

info@mominoun.com

www.mominoun.com

مُهْمِنُون بِلا حدود

Mominoun Without 3orders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

